# الباب الرابع

# الإيمان بالله تعالى

ما بسطناه لك فى الأبواب السابقة ما قصدنا منه إلا إخراجك من حيز نفسك المادية ومنطقك العقلانى البحت لتعلم بعض خفايا عالم الغيب .. وقدرات نفسك الغيبية، وكيف أن المعرفة الحقيقية لا تكون إلا بمظاهرة نور شرع اللَّه تعالى فى عقلك ولنور إلهامه جل شأنه فى نفسك، فترى بعض الحقائق الكونية بعيدا عن مقاييس المادة وأحكامها التى تقيد تفكيرك..

فالنفس البشرية كما أسلفنا هى بين الحيوان .. والملَكْ، فالحيوان رهين بحواسه وشهواته .. والملك يحكمه عقله وروحه، والإنسان بينهما:

إمَّا أن تتحكم فيه مادياته وشهواته البهيميّة فهو كالأنعام بل أضل وإمَّا أن يتغلب عليه عقله وروحه فيصير كالملائكة وأفضل من بعضهم ..،

وإما أن يظل فى جهاد بين الدرجتين نزولا وصعوداً ..

وقول اللَّه تعالى فى سورة الذاريات : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾، فسره غالب المفسرين أن المقصود هو إلا ليعرفونى، فالعبادة الحقة لا تكون إلا بالمعرفة الحقة، فإن النفس البشرية بطبعها عدوة لما جهلت، ومعرفة اللَّه تعالى لا تدرك بحبس النفس فى حواسها المادية أو شهواتها الدنيا، بل لابد لك من معرفة نفسك وقواها وطاقاتها المخزونة فيك والتى تستطيع أن تتعامل بها مع عوالم الغيب، ولعلك بهذا تستطيع معرفة باللَّه تعالى على قدر ما هيأك اللَّه له.، يذكر الترمذى أنه سألت السيدة عائشة رضى اللَّه عنها رسول اللَّه ﷺ بم ينعَّمُ الناس فى الآخرة!! فقال لها ﷺ.. ينعمون على قدر عقولهم .. قالت أو ليس على قدر أعمالهم !! ؟ . فقال ﷺ وهل يعملون إلا على قدر عقولهم!!.

فالعقل .. أو المعرفة .. أو الروح فى الإنسان هى باب العمل والمعرفة باللّه تعالى.

واعلم رحمك اللّه بأن ما نقوله هنا ما هو إلا ذرة من رمال صحراء شاسعة فلا تعجب إذا رأيت خلافه فى كتاب آخر.، فلا نهاية للعلم باللّه تعالى وفوق كل ذى علم عليم .، فإن العبد كلما علم شيئا عن حضرة اللّه تعالى وأيقن أنه حق ثم ترقى بعلمه وعبادته وازدادت معرفته باللّه تعالى وجد أن علمه السابق كان ناقصا أو خطأ بالكلية، فلا نهاية للتقوى .. ولا نهاية للعلم باللّه تعالى، ولا يعلم اللّه إلا اللّه، ولا يحيطون بشيئ من علمه إلا بما شاء .. وكيف شاء.. ومتى شاء ..،

ولكننا بكتابنا هذا إنما نخاطب الإنسان العادى فى أول درجات علمه ومنطقه وإدراكه ..، فإن انتفع بهذه المبادئ البسيطة فلعل اللّه تعالى يفتح عليه بأسرار ملكه وملكوته فيعرف ما لا يكتب فى كتاب وما لا يقال فى بيان ..، فإن العلم باللّه تعالى لا ينقل إلا من قلب إلى قلب .، أما ما يكتب ويقال فما هو إلا تمهيد وتذكرة للنفس البشرية حتى يصدق التجاؤها إلى اللّه وجهادها فيه فتفاض عليها المعارف والعلوم فيضاً من العليم الخبير ...

## • توحيد اللّه تعالى وإفراده بالعبودية له وحده :

يقول اللّه تعالى فى سورة محمد-١٩ : ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ... ﴾ ويقول ﷺ فى تعريف الإسلام أن تشهد ألا إله إلا اللّه. والشهادة والشهود والمشاهدة كلها مشتقة من الفعل " شهد " أى رأى، فالرؤيا بالبصر هى المشاهدة، والرؤيا بالبصيرة هى الشهود ..

**فالتوحيد فى أبسط معانيه هو إفراد اللّه تعالى بالعبودية له وحده.. والإقرار له جل شأنه بوحدانيته .. وبأسمائه وصفاته التى ذكرها على مراده جلّ شأنه وبالكيفية التى تليق بجلاله ...**

**فاللّه تعالى لا إله إلا هو .. الفعّال لما يريد .. القاهر فوق عباده .. خلق كل الموجودات .. وسخرها بحكمته .. لا شريك له فى ملكه .. ولا منازع له فى جبروته .. له الحكم فى الأولى والآخرة .. وإليه يرجع الآمر كله..، لا تدركه الأبصار .. وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير، كل يوم هو فى شأن ولا يشغله شأن عن شأن .. ولا تأخذه سنة ولا نوم..، وسع كرسيه السموات والأرض .. ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم .. يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .. لا يخفى عليه شئ فى الأرض ولا فى السماء، وما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها ويعلم مستقرها ومستودعها.. يسبِّح الرعد بحمده والملائكة من خيفته .. وتسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شئ إلا يسبح بحمده ..، أحد .. صمد .. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ..، له الأسماء الحسنى .. والصفات العليَّة .. وهو الأول بلا ابتداء .. والآخر بلا انتهاء والظاهر بلا عناء والباطن بلا خفاء .. جل جلال اللّه.**

**يقول تعالى فى سورة الناس:** ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ ﴾

**والربّ هو السيد مربى الأجساد ومغذيها ومدبرها .. تقول رب البيت .. وربة البيت أى الرجل والمرأة القائمان على خدمة الدار ومن فيها.**

**والملك هو مالك الرقاب .. والمتصرف فى الرعية كما يريد بقوانينه وأوامره .. وأحكامه .. فعلى الملك الأمر وعلى الرعية السمع**

والطاعة ..

والإله هو المتصرف فى القلوب والأرواح .. يقلّبها كيف يشاء.. ويصرفّها حيث شاء.

ولفظ الجلالة هو عَلَم على الذات .. تنسب إليه باقى الأسماء والصفات، فتقول اللَّه الرحيم .. اللَّه اللطيف .، والرحيم واللطيف اسمان أو صفتان من أسماء اللَّه تعالى وصفاته،

يقول ﷺ فيما رواه مسلم "إن للَّه عز وجل تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، إنه وتر يحب الوتر من أحصاها فقد دخل الجنة" .

فالألوهية للَّه تعالى وحده لا شريك له ...، فهو رب الأجساد ومالك الملك والملكوت والمهيمن على القلوب والأرواح .. وله الأمر كله وإليه يرجع الأمر كله .. والطاعة له جل شانه .. والرجاء فيه .. والخوف منه .. والحب له .. والشكر له تعالى ...

والعبودية بمعناها العام هى الرق والاستسلام الكامل والخضوع التام للأوامر والنواهى بل هى امتلاك السيد لعبده.

أما العبودية للَّه تعالى فلا تتحقق إلا بالإيمان والإسلام .. والطاعة لما أمر اللَّه ورسوله .. والابتعاد عما نهى اللَّه ورسوله .. والرغبة والرجاء فى اللَّه تعالى والخوف والرهبة منه جل شأنه .. والحب والشكر له سبحانه...

لكن اللَّه تعالى يقول فى سورة الفرقان:﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ ، ويقول فى سورة الجاثية : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ

وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَـٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾

ويقول ﷺ "تعس عبد الدرهم .. تعس عبد الخميصة " والخميصة هى الثوب الحسن)، رواه البخاري و وفي رواية الترمذي " لُعِنَ عبدُ الدينار، ولُعِنَ عبدُ الدرهم "

إذا فمن الناس من يعبد الدرهم .. ومنهم من يعبد الهوى !!، وليس المقصود بالعبادة هنا هو السجود والركوع للمعبود، ولكن المعنى واضح ألاَ وهو الحب الشديد والطاعة العمياء والميل الجارف حتى يسيطر على قلبه ونفسه ما يحب .. فكأنما يعبده ..

فمن يحب المال حبا شديداً تراه حريصا كل الحرص على جمعه بأية وسيلة حراما كانت أو حلالا ..، وقد يبذل فى سبيل ذلك عزة نفسه وكرامته ويستهين بهما، ويبالغ فى حفظ ماله وعدم إنفاقه حتى على نفسه. فيومه مشغول بجمع المال .. وليله مشغول بالحفاظ عليه .. وقلبه مشغول بحبه . وجسده مشغول باكتنازه وحفظه .. وروحه متعلقة به وهو مسيطر عليها .. فأى عبودية أكثر من هذه !!!.

ومن أحب شخصاً فإنك تراه حريصا على رضاه .. يأتمر بأوامره .. ويبذل ما فى طاقته للوصول إليه .. وعقله وقلبه مشغول بحبه .. ولا يعصى له أمرا .. وقلبه مشغول بموعد وصله ولقائه .

وهذه عبودية .. ورقّ .. فسيطرة ما يحب على قلبه تجرِّده من كل حول له وقوة، وتصيّره مطيعا له فى كل أمر.

فإن كان الهوى .. وشهوة النفس .. وزينة الحياة الدنيا هو ما امتلأ بها قلب الإنسان .. وانشغل بالتمتع بها .. والسعى إليها .. فإنما قد استرقته واستعبدته . وصار لها عبدا .. وهى له آلهة ..

أما العبودية للّه تعالى فهى أن يكون جل شأنه مرادك .. ومقصودك.. وبه انشغال قلبك وفكرك .. ناظرا إلى رضاه .. مرتجيا كرمه.. محبا له .. شاكرا لأنعمه .. وبهذا تنتقل من درجة العبيد .. إلى درجة العباد ...

فاعلم أنك فى الحقيقة عبد لما تحب ..، عبد لما تهوى، فما تهواه هو مرادك ومقصودك ..، يقول ﷺفى الحديث المتفق عليه كما روى البخارى" إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى اللّه ورسوله فهجرته إلى اللّه ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها .. فهجرته إلى ما هاجر إليه"،

فأنت ونيتك .. وأنت وقصدك وتمام عملك فى كمال نيتك ..

فمن أحب اللّه .. وارتجاه وقصده .. فهو عبد للّه .. حتى وإن زلّ وأخطأ .. فهو عبد للّه مذنب بحكم بشريته وضعفه، أما من قصد غير اللّه تعالى فى سعيه فى الدنيا .. فإنما هو عبد لما يحب أو لمن يحب ..

حتى من عبد اللّه تعالى حبا فى جنته فسوف يجزيه اللّه الخير ويدخله جنته كما وعد، ومن عبد اللّه تعالى خوفا من عذابه فسوف يقيه اللّه تعالى عذاب جهنم بفضله وكرمه، أما مَنْ عبد اللّه تعالى حبا للّه.. وقصداً لوجهه الكريم .. فسوف يجزيه اللّه تعالى النظر الى وجهه الكريم ..، أليس لكل امرئ ما نوى !!! ألم يقل اللّه تعالىفى سورة الليل : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ ﴾ ويقول فى سورة الروم-٣٨:﴿ ... ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ ... ﴾ .

فنفس طبعها اللّه تعالى على حب النعيم .. ونفس طبعها على خوف الجحيم .. ونفس طبعها على حبه تعالى .. فأنعم وأكرم ..

فالـشاهد ألا إلـه إلا الـلَّه وجـب عليـه إفـراد الـلَّه تعالـى بصـفات الـجلال والـعظمة فلا يخاف سـواه ولا يرجـو غيـره .. ولا يسـأل دونـه ..، ووجـب عليـه إفـراد الـلَّه تعالـى بصفات الـجمال فلا يحـب سـواه .. ولا يبتغى غيره .. ولا يطمع فيما دونـه .. يتأمل فـى صفاته ويـذكر أسمـاءه .. ويعيش فى تجليات أنواره ..

فإذا أنت آمنت بكلمة التوحيد فلا بد أن تشهد بقلبك بهذا التوحيد للخالق جل وعلا ولابد أن تعلم بعقلك حق التوحيد له جل شأنه، وقد سبق القول بأن القلب يمده اللَّه تعالى بنور منه موهوب تكرماً.. مع نور الشرع في العقل مكتسباً بالعلم والتعلم .. فإن اجتمع نور الشرع مع نور القلب فى نفس المؤمن شاهد من المعارف مالا يوصف .. وعرف ربه بنور ربه على قدر وعاء قلبه وطاقته وقدر عطاء اللَّه تعالى له..، وأولائك هم العارفون .. يقول تعالى (الفرقان-٥٩): ﴿ ... ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ۝٥٩ ﴾

## • معرفة اللَّه تعالى ومرآة القلب :

أسماء اللَّه تعالى هى الدالة على صفاته، وصفاته هى التى يعامل بها خلقه، وقولنا إن التوحيد هو شهود وحدانية اللَّه تعالى يؤكده قوله جل شأنه فى سورة آل عمران-١٨:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ ...﴾ ، فانظر كيف جمع اللَّه تعالى الملائكة وَأولى العِلْمِ فى معية الحق، وأولو العلم هم أولو البصائر.. أولو النور الإلهى .. فالعلم لا يكون إلا بنور اللَّه تعالى .. لأنه علم باللَّه.. ولا يُعرف اللَّه تعالى إلا باللَّه جل شأنه، ومعرفة اللَّه لا يمكن أن تُشرح فى

كتاب ولا نصيحة، ذلك أن أدنى درجات المعرفة هى معرفة الصفات الدالة عليها الأسماء .. وأسماء الله تعالى الدالة على الصفات معلومة لدينا ومذكورة فى القرآن الكريم، ولكن كيف تجتلى هذه الصفات !!!،

إن غاية ما يمكن أن يقال فى هذا الشأن إنما هو شرح لمعانى الأسماء، فنقول إن الرحيم مثلا هو صيغة مبالغة من رحم .. وهو مشتق من الرحمة .. فاللَّه الرحيم هو كثير الرحمة لعباده .. عظيم الرافة بهم، وهذا كلام يمكن أن تفهم معناه .. ولكن كيف يمكن أن تتذوق طعم الرحمة ومعناها !!!، فالعلم شئ والإحساس شئ آخر،

ولتقريب الأمر إلى عقلك فإنى أسألك سؤالا: هل تستطيع أن تصف إحساسك بحب شيئ ما ؟!

لو قلت إن قلبك يذوب حبا .. فهل قلبك قد ذاب حقاً .. وإن قلت إن الحب يسرى فى دمك .. فهل هو فعلا يسرى فى الدم !! إن كل ما تقوله ما هو إلا محاولة منك لنقل إحساسك إلى الآخرين .. ولكن هذا الشعور نفسه لا يمكنك نقله إلى قلب السامع بالوصف والكلام، فغاية ما تعبر به عن الفرح هو أنك تطير فرحا .. ولكن هل بربك رأيت من قبل فرحا يطير فى الهواء !!!

فالإحساس عموما لا يُنقل بالكلام والوصف ولكنك تتذوقه .. وتشعر به وتعيش فيه ولا يمكنك التعبير عنه، والسبب هو أن الشعور إنما يكون بالنفس .. بالقلب وهو ليس من الماديات المحسوسة بالحواس .. والكلام واللسان والأقوال والكتابة هى من عالم المادة ولا يمكن أن تتعامل مع عالم الملكوت نداً بند، لذلك أوجز ﷺ وصف الجنة بقوله " فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت .. ولا خطر على قلب بشر " .. فإن غاية ما يشعر به البشر هى حواسهم المادية وزينة الحياة الدنيا وشهواتها.. ولذلك كان وصف الجنة من هذا القبيل لتقريب الأمر إلى أحاسيس القارئ ..، ففيها

النساء .. والأنهار .. والفواكه والقصور.. إلى آخره، ولكن الأمر فى حقيقته لا يتجاوز التشبيه وتقريب المعنى إلى الذهن كما نصف للطفل كل شئ جميل بأنه مثل " السكر " .. بل هو نفسه مثل السكر .. فكل حلو عنده وكل مرغوب هو مثل السكر ..

فخلاصة القول أن لكل عالم من العوالم مقاييسه وقوانينه، فإذا كان الناس قد تعارفت على أن تقيس الأطوال بالمتر والذراع وتقيس الأوزان بالجرام والرطل .. فكيف وماذا تفهم إذا قال لك قائل إن هذا الشارع طوله مائة رطل !!؟ الرطل لا يعبر به عن الأطوال ولذلك فلا تفهم منه شيئا ..

نعم يمكنك أن تستعير بعض الأوصاف لغير مسمياتها .. كأن تقول إن لون هذا الجدار باردٌ أو دافئٌ، فحينئذ يفهم عقل السامع أنه ليس المقصود بأنه لو وضع يده على الجدار لوجده ساخنا حارا . أو بارداً رطباً ولكن يفهم السامع ان لونه ينقل إليك إحساساً بالدفء المعنوى.. أو البرودة المجازية وهو ما يسمى فى اللغة بالكناية أو الاستعارة أو المجاز، وذلك فى محاولة لتقريب معنى معين إلى إحساس ملموس.

فأنت حين تقول إن اللَّه رحيم .. فأنت لا تتذوق هذه الرحمة ولا تحس بمعناها إلا بقلبك وليس بعقلك، لذلك يقول تعالى: ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ كَيۡفَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ ... ﴾(الروم-٥٠)، فالنظر والبصر إنما هما لآثار رحمة اللّه تعلى فى الكون وكيف يحيى اللّه الأرض بإنزال المطر عليها .. فما تراه بعينك هو آثار لصفات اللّه تعالى فى الكون، فأنت ترى أثر لطفه .وأثر عدله . وأثر رحمته . وأثر نعمته. وأثر هداه،

ويقول تعالى فىسورة الروم-٣٦ : ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةً

فَرِحُواْ بِهَا ...﴾ ، ويقول فى سورة العنكبوت -٥٧: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾

فالرؤية للأثر والتذوق للصفة أو الفعل ذاته فأنت ترى أثر الموت على الحىّ وتحزن وقد تتألم ولكن شتّان ما بين ما تراه أمامك وبين تذوقك للموت عندما يحين الأجل لك .

والسبب فى عدم معرفتك بالله تعالى أو عدم تذوق صفاته إذا جاز لنا التعبير هو بُعْد المماثلة بين صفاتك وبين صفات الله تعالى، البعد بين صفاتك الحيوانية المادية والصفات العلية القدسية كما يقول أبو حامد الغزالى فى كتابه "المقصد الأسنى"، أو كما سماها العلماء بالحجب الظلمانية.

ونقول بُعّد المماثلة ولا نقول " المثلية " فافهم

ولنزيدك إيضاحاً فلابد أن تعلم أن العلم والجهل صفتان فى النفس البشرية وأن حقائق الوجود موجودة فى الكون ومن الناس من يراها ومن الناس من لا يراها، والسبب هو الجهل الناتج عن حجاب قوى النفس عن هذه الحقائق، فإن رَقّ هذا الحجاب وشَفّ عرفت النفس بعض الحقائق على قدر شفافية هذه الحجبْ . فكل شئ .. وكل حقيقة هى موجودة أمامك، أما قدرتك على الرؤية فتلك هى القضية..

ولتبسيط الأمر نقول أن النفس كالمرآة تماما . تنقل إليك صور الموجودات وتنطبع فيها الحقائق والمعانى الموجودة أصلا فى الكون، ولكى تنطبع أية صورة فى مرآة فإنه يلزم لها شروط، وإلا ما نقلت إليك صورة ذات معنى .. وأهم هذه الشروط هى :

● حسن صقل المرآة ونظافتها، فلو كانت غير مصقولة أو غير لامعة لم تنقل إليك إلا صورة مشوشة لا تطابق الحقيقة .. وإن كان عليها قذر

ووسخ خرجت الصورة منها بنفس القدر من القذر والوسخ.

ونفسك كذلك إن لم تكن مصقولة معدة السطح وذلك باعتدالها وحسن تفكيرها واستعدادها الفطرى لقبول الحقائق .، وإذا لم تكن نظيفة السطح من الأقذار الحيوانية والشهوات والمعاصى فإن الصور الكونية التى تنطبع فى نفسك تكون بنفس القدر من الوسخ والقذر من المعاصى .. ولا تعطيك أبدا صورة واضحة المعالم .. ولا تكاد تعرف الحقائق التى تنطبع فى نفسك لا يقظة ولا مناما .. لأن الاستقبال عندك تالف بدرجة ما .، لذلك كل صورة كونية تراها إنما تراها وفيها كل قاذورات نفسك وشهواتك، فأنت لم تر إلا نفسك حقيقة.

●صحة اتجاه المرآة إلى الهدف المراد رؤيته، فإنك إذا وجهتها وجهة أخرى فلن تراه ولن ترى صورة أصلا، وهذا مثاله فى النفس صدق الاتجاه إلى اللّٰه تعالى ودوام النظر فى ملكوته والتفكر فى آياته.. فالنفس إذا لم تكن مشغولة بهذا الأمر وكانت مشغولة بدنياها وشهواتها.. فلا ترى فى مرآة ذاتها إلا هذه الشهوات ولا يمكن أبدا أن ترى من التجليات الإلاهية أى شئ لأنها غيرمتوجهة إليها أصلا . بل مرة أخر ترى شهواتها وحيوانيتها وتظن أنها ترى حقائق الكون.

●قدرتك أنت على رؤية الصورة التى بالمرآة .، فإذا كان فى العين مرض .. فلن ترى صورة .. كذلك النفس إذا لم تكن لديها قوة إدراك بنور اللّٰه تعالى .. وإذا لم تهتم بما ينطبع فيها من أسرار ليل نهار .. فإنها لا تفهم ولا تدرك هذه الحقائق رغم وجودها أمامها .. ويكون حجابها هو جهلها وضعف بصيرتها .

فموجز القول بأن النفس البشرية تنطبع فيها الصور الكونية فإذا صُقِلت وهُذِّبَت وتخلصت من كدوراتها البشرية وأحسن توجيهها إلى اللّٰه تعالى، وصَفَتْ ورَقّتَ وانتقشت فيها الصور الكونية بكيفية ما رأت من

أنوار التجليات الإلاهية ما شاء اللّه لها، وخوطب العبد لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد، فالحقائق كانت أمامك ولم تحجب عنك، ولكنك لما أحسنت تربية نفسك انقشعت الحجب ورأيت ما كان محجوبا عنك..

فإن عجبت من قولى هذا ... فانظر إلى حديث رسول اللّه ﷺ "المؤمن مرآة المؤمن" كما رواه الطبرانى والبخاري وأبي داود وهو حديث حسن، وكيف فسروهُ بان المسلم يجب أن يكون ناصحاً لأخيه المسلم مظهرا له عيوبه بالصدق والإخلاص .. كأنه له مرآة ...، وهذا تفسير حسن، ولكن أليس من صفات اللّه تعالى وأسمائه " المؤمن" !!. ألاَ يصح أن تفهم المعنى على أن المسلم المؤمن باللّه حقا هو مرآة تنطبع فى قلبه وروحه حقائق المؤمن جل وعلا!!.

يقول تعالى:﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ .. ﴾ (البقرة-١١٥)

وصدق اللّه تعالى فإن المؤمن الحق يجب أن يتذكر اللّه تعالى وينظر إلى عبره وآياته فى كل اتجاه، يراه فى نفسه .. وفى أهله .. وفى عمله .. وفى نومه .. وفى يقظته .. فى كل وقت وفى كل اتجاه لا يقع بصره إلا على آية وحكمة من آيات اللّه تعالى.. فأينما تولوا فثم وجه اللّه.. فافهم..

ولتقريب المعنى إلى عقلك أقول : رجل بخيل سيطر حب المال على قلبه وتفنّن فى جمعه واكتنازه وهو بالطبع مقتنع أن ما يفعله هو عين العقل والحكمة، فإذا رأى رجلا كريما ينفق على المحتاج والسائل فماذا يكون حكمه عليه؟؟؟

سوف يقول أن هذا الرجل إما معتوه لأنه يفرّط فى ماله الثمين، وإما له غرض خفى فى نفسه يدفعه للإنفاق .. فهو لم ير الكريم كريما

يقصد وجه اللَّه ولكن رآه معتوها أو ذا غرض خفى. فبخله حجب عنه حقيقة كرم الكريم وظن به ظن السوء.

فهذه الحجب الظلمانية التى تحجب عن اللَّه تعالى هى حبس النفس فى إدراكاتها المادية وشهواتها الأرضية، فإذا تحدثنا مثلا عن عذاب القبر .. تساءل الناس . وكيف يعيش الميت فى قبره.!! وكيف يحس ويتألم !! وقد تأكله السباع والهوام ويتحلل فى الماء والأرض فكيف يستمر العذاب !!، وهذه أسئلة السذج من الخلق أو جهال الناس الذين حبسوا أنفسهم بالقوانين الأرضية .. فلا حياة إلا بالماء والهواء، ونسوا بأن كل عالم من العوالم الغيبية له قوانينه الخاصة.

بل إن الإنسان نفسه وهو على الأرض يتعامل بقوانين الأرض، وعندما كان فى بطن أمه لم يكن يشرب ولا يأكل ولا يتنفس إلا بكيفية خاصة تليق بعالمه ... وكان يحس وينمو .. ويضرب برجليه .، هو الآن قد نسى ذلك العالم وقوانينه، وقبل نزوله فى الرحم ويوم ألست بربكم.. يوم أخذ اللَّه عليه العهد وهو روح .. كيف كان يعيش فى ذلك العالم !!! وأى قوانين كانت تحكمه!! ولكنه الآن نسى كل العوالم التى مرت به ولم يذكر إلا قوانين عالمه الحالى فى الدنيا.

فحبس النفس بالقوانين البشرية وتحجير إدراكها بالمحسوسات البشرية يضيع عليها تفهم العوالم الأخرى الموجودة حولها فعلا ..، وانظر مثلا كيف لو علم العرب فى جاهليتهم بأن هناك طائرات من الحديد سوف تطير فى السماء بسرعة ثلاثة آلاف كيلو متر فى الساعة أو تزيد وأنها تقطع المسافة بين مكة والقدس فى أقل من ساعة ذهابا وساعة عَوْداً لما عجبوا من إسراء رسول اللَّه ﷺ... ولكنهم حبسوا إدراكهم على قدر محسوساتهم وإبلهم وأنعامهم .، فلا هم عرفوا حقائق الكون المادية الخافية عنهم .. ولا هم عرفوا اللَّه حق معرفته وسلموا الأمر إليه وهو

الذى يسير الرياح ويسخر الشمس والقمر فأى عجب فى أن يسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى!!!

ولقد جعل اللّه لك فى منامك آية على عوالم الغيب وقدرتك على التعامل معه، فأنت إذا نمت .. نامت مداركك المادية .. فلا شعور ولا حس. ونشطت فيك بعض قوى الإدراك الداخلى فى النفس .. وبهذا الإدراك تسبح بك روحك إلى عوالم الملكوت، فالفرق بين النوم واليقظة ليس إلا نوم حواسك البشرية ومشاعرك الحيوانية فأنت فى النوم لا تشعر بمن وما حولك وكذلك لا تحب ولا تكره ولا تنافق ولا تتكبر ولا تظلم ...، فنفسك الحيوانية غير مسيطرة على روحك خلال النوم .. لذلك فروحك تنطلق فى العوالم الأخرى فتطير .. وتأكل وتشرب وتأتى بكل ما يخالف عقلك المادى ..

ولو استطاع الإنسان بطريقة ما أن يكبت وهو يقظان هذه الإدراكات الحيوانية والشهوات الأرضية .. أو يجعلها فى ركود وخمول كأنها نائمة .. فهل يا ترى سوف يستطيع أن يرى فى يقظته هذه ما يراه وهو نائم ؟؟ نعم بلا شك .. فالمشكلة فى الشهوات الأرضية والإحساس المادى .. فإن تغلبت عليهما فد دخلت فى العوالم الأخرى .. ألم يقل ﷺ "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا " ..!! أو ليس الموت والنوم صنوان متقاربان"!!.

وقد سبق التعرض لتعريف اللّه تعالى للميت والحى .. وأن حياة القلوب بذكر اللّه وأن الميت هو الغافل عن ذكر اللّه (الأنعام-١٢٢) : ﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ...﴾ ويقول تعالى (النور-٤٠):﴿ ... وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾

فالجهل والعلم والنور والظلام .. والحياة والموت كلها مترادفات للإيمان والكفر، والعلم باللّه لا يكون إلا بنوره وهداه .. وبهذا يتفاوت البشر عند اللّه تعالى فليس علم كعلم ولا معرفة كمعرفة.

فإذا عرفت أن من صفات اللّه تعالى السميع والبصير فقد يتبادر إلى ذهنك قوى السمع والبصر البشرية .. وطاقة البشر وإمكانيات السمع والبصر، وتعالى اللّه عما تقول علوا كبيرا، فإذا قلنا لك إن اللّه تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .. وإنه يسمع الهمس والسر وما هو دون السر .. وإنه جل شأنه يعلم بجميع حالات خلقه فى ذات الوقت وذات اللحظة كما سوف يحاسب عباده جميعا يوم القيامة فى وقت واحد.. فإن تفكيرك البشرى يتوقف ولا يستطيع أن يدرك المقصود .، وأنت معذور فى توقف عقلك لأنك بشرى لا تعرف إلا حدود بشريتك ..

وغير معذور لجهلك بأن اللّه تعالى ليس كمثله شئ.. ولا يُضرب له ولا به مثل .. وكل ما خطر ببالك فاللّه بخلاف ذلك.، إن عقلك وإدراكك لا يكاد يفهم نفسه ولا يفهم البشر مثله.. فكيف يتطلع إلى فهم من لا تدركه العقول ولا الأفهام .. جل شأنه !!،

وهكذا باقى الصفات العليّة .. فالكلام غير الكلام... والوجه غير الوجه .. واليد غير اليد، تعالى اللّه عما نقول علوا كبيرا ..

يقول تعالى فى سورة الكهف :﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَـٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَـٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ ﴾، فلا تظن أن الكلام مثل كلامنا .. فإنما كلام اللّه هو خلق اللّه تعالى فعيسى بن مريم كلمة منه ألقاها إلى مريم والموجودات ظلال .. مدها اللّه تعالى فى الوجود...

وحذار أن تتصور أن سيدنا موسى عليه السلام عندما كان يناجى

ربه أنه كان يسمع صوتا وحروفاُ ومقاطع وكلمات، تعالى اللَّه عن ذلك علوا كبيرا .. ولكن الأمر غير ذلك تماما .. وليس الكلام ككلامنا وليس له جهة صادر منها ... ولم يسمع موسى بأذنيه كما يسمع كلام البشر وأصوات المخلوقات...

ورسول اللَّه ﷺ لم يناج ربه فى ليلة المعراج فى مكان ما فوق السموات السبع كما قد يتبادر إلى الذهن مفهوم الفوقية المكانية .. فاللَّه تعالى منزه عن المكان والزمان، فقد كانت هذه المناجاة حيث لا زمان ولا مكان ..

وقول رسول اللَّه ﷺ كما ورد في البخاري ومسلم عن أبي ذر بأنه قد عُرج به صلَ اللَّه عليه وسلم من سماء إلي سماء حتى بلغ سدرة المنتهي لا يقبل شكاً ولا جدلا ولكن يجب أن نؤمن به علي مراده ﷺ وبالكيفية التي تناسب الحال والمقام ونحن لا ندركها بعقولنا البشرية.

وانظر كيف صلى رسول اللَّه ﷺبالأنبياء والرسل فى بيت المقدس .. ثم وجد بعضا منهم فى السموات كإبراهيم وموسى وعيسى وزكريا ويحيى وإدريس ...، ولا تظن أنهم قد صلوا معه ﷺ ثم سبقوا ليكونوا فى استقباله .. ولكنهم كما صلوا معه فى بيت المقدس هم كذلك موجودون فى السموات .. بكيفية ما تستطيعها الأرواح القدسية التى لا يحدها مكان ولا زمان ..

واللَّه تعالى وسع كرسيه السموات والأرض، وهو سبحانه على العرش استوى، فلا العرش كالعرش الذى تعرفه بشريتك .. ولا الكرسى كالكرسى الذى يتبادر إلى ذهنك، وكما كان يقول السلف الصالح : الاستواء معلوم.. والكيف مجهول .. والسؤال عنه بدعة ... وكانوا يقولون: آمنا بما جاء به اللَّه.. على مراد اللَّه.. وبالكيفية التى أرادها اللَّه..

فإن قال ﷺ" ينزل ربك إلى السماء الدنيا فى الثلث الأخير من الليل فيقول هل من مستغفر فأغفر له .. هل من تائب فأتوب عليه ... " إلى آخر الحديث المعروف ..، فإياك أن تتصور فى الأمر نزولا كنزولنا. وصعودا كصعودنا، تعالى اللَّه عن ذلك، واعلم أنه عندما يكون الوقت هو السحر أو ثلث الليل الأخير كما يقال فى الهند مثلا .. فإنه سوف يكون سحرا بعد ساعة فى إيران .. وبعد ساعة فى السعودية .. وبعد ساعة فى مصر.. وهكذا على مدار الأربع والعشرين ساعة على الكرة الأرضية فأى سحر وأى نزول إن كنت تفهم !!! جل جلال اللَّه عن التشبيه والمثال.

ونحن نؤمن أن الحديث صحيح وما جاء به حق أما الكيفيّة فلا تُكيّفُ بعقولنا البشرية، يكفينا أنه قول رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم لنقول آمنا وسمعنا وأطعنا.. سواء فهمنا أم لم نفهم.

اطرح عنك جميع الأفكار البشرية .. والإدراك الحسى الذي يحبس عقلك ومفهومك .. وانظر فى آيات اللَّه تعالى فى الكون وفى كتابه.. واستبصر فلعلك تبصر بإذن اللَّه .. واستلهم اللَّه تعالى الحكمة وتأدب لها وتجمل للقياها عسى اللَّه تعالى أن يمن عليك بها لتفهم وتعرف مالا يقال فى بيان.

- **الأسماء والصفات والتجليات :**

الاسم غير الذات، فإن اسم زيد ليس هو عين زيد .. ولكن الاسم يدل على المسمى .. فإن قلنا زيد بن عمرو فلا يوجد إلا زيد واحد هو ابن عمرو واحد .. فالاسم يدل على ذات المسمى ..

والصفة كما تعلم من خواص المسمى .. فزيد طويل أو قصير..

ولكنها لا تغنى عن الاسم فى التعريف فإن قلت الطويل أو القصير فقد يكون زيدا وقد يكون غيره .. فالاسم دال على المسمى والصفة مضافة إليه أو خاصة به.

والصفة تحيط بها علما .. ولكنك تدركها بالإدراك والحواس.. وعلمك بها غير إحساسك بها .. كما ضربنا مثلا فى العلم واليقين ولكن بطريقة أخرى.

يقول تعالىفى سورة الشورى-٤٨:﴿ ... وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ... ﴾!! فالرحمة تذاق، ويقول تعالىفى سورة الأعراف-١٨٠: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ...﴾.

ويقول فى سورة الأعلى:﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾ ﴾، وفى سورة المزمل : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ ﴾، ويقول ﷺ "إن للَّه تسعة وتسعين اسما من أحصاها دخل الجنة" أى من دعا بها وسبح بها وذكر اللَّه تعالى بها .. فاللَّه تعالى هو الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارئ المصور .. إلى آخر الأسماء المعروفة والتى سنذكرها فيما بعد، فأسماء اللَّه تعالى هى الدالة على صفاته جل شأنه ..، وأنت تعلم الاسم الدال على الصفة فالرحيم يدل على الرحمة ولكن لا ترى الرحمة.. ولكنك تدركها برؤية آثارها حيث يقول تعالى:﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ... ﴾ ، فالنظر إلى الأثر، أما الإدراك فهو بالقلب ..،

فأسماء اللَّه تعالى وصفاته ليست أسماء وصفات مجردة المعنى

ذات دلالة فقط، ولكنها الصفات والأسماء التى يعامل بها خلقه أجمعين، فصفته تعالى أنه الخالق مثلا تجد فيها أسرار خلق اللَّه تعالى لكل الكائنات، وصفته تعالى الرزاق تجد فيها أسرار توزيع رزقه على خلقه، وصفته تعالى القهار تجد فيها أسرار قهره لجميع الموجودات، وهكذا مما يضيق الكلام عنه ..

فإذا تجلى اللَّه تعالى على قوم باسمه تعالى الرحيم فإنك تجدهم قد تراحموا وتحابوا وتواصلوا وكانت الرحمة فى قلوبهم .. والمودة بينهم وهم أنفسهم لا يدرون لذلك سببا .. ولكنها تجليات اللَّه عليهم باسمه تعالى الرحيم، انظر إلى قول رسول اللَّه ﷺ فى الحديث المتفق عليه من رواية أبى هريرة رضى اللَّه عنه، وكذلك رواه الإمام أحمد والإمام مسلم عن سلمان وعن أبي سعيد أن اللَّه تعالى قد قسّم رحمته إلى مائة جزء فانزل منها فى الأرض جزءا واحدا .. وأخّر تسعة وتسعين جزءا إلى يوم القيامة يوم غضبة الجبار .. فمن هذا الجزء من مائة يتراحم الناس والبهائم حتى أن البهيمة ترفع رجلها عن وليدها أن يصيبه مكروه.. فانظر كيف يتراحم الناس والخلق أجمعين على اختلاف أجناسهم وعلى كافة عصورهم من تجليات اللَّه عليهم بجزء من مائة جزء من رحمته جل شأنه ..

وقس على ذلك كل الصفات، فإدارة الكون وكل ما فيه من الكائنات إنما هى تجليات من صفاته تعالى، فلا يشفى مريض إلا إذا كان له حظ من تجليات اسمه تعالى الشافى، ولا يموت ميت إلا بتجليات اسمه تعالى المميت، ولا يصل رزقك إليك إلا بتجليات اسمه تعالى الرزاق، إلى آخره ..

ألا ترى أن اللَّه تعالى هو : ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ ﴾

(النجم - ٤٣: ٤٥)، فحتى الضحك والبكاء بأمر اللَّه تعالى وتجلياته على عباده فافهم رحمك اللَّه...

وترى مما تقدم أن الأسماء فى الحقيقة هى غير الصفات، كما أن الصفات غير التجليات..، والتجليات غير الأنوار وغير الأسرار..، فلكل مسمى معنى دقيق مقصود لذاته وليست كلها متساوية فى المعنى، كما تقول النفس والروح والقلب والبصيرة وتقصد بكل هذه المسميات النفس، وفى الحقيقة أن لكل مسمى معنى وخاصية، ودرجة كما سبق بيانه ولنضرب لذلك مثلا .. وللَّه المثل الأعلى ..

هب أنك رجل فقير محتاج لا حول لك ولا قوة .. ودخلت مدينة لا تعرفها ويحكمها مَلِكٌ لا تعرفه .. فوجدت المدينة نظيفة .. جميلة .. منسقة .. وأهلها آمنين راضين وفى غنى ويسر من هبات الملك وعطاياه.. والجنود فى الشوارع وحول المدينة يحفظون النظام ويحافظون على أمن المملكة.

فسوف يتبادر الى ذهنك أن هذا الملك عادل .. ورحيم وغنى.. وكريم .. وقوى .. وكيف عرفت هذه الصفات .. عرفتها من آثار عدله وآثار رحمته .. وآثار غناه .. وآثار كرمه .. وآثار قوته .. فمما رأيت من أفعال الملك وآثارها فى أهل مملكته عرفت صفاته .. وأطلقت عليه أسماء القوى .. الغنى .. الكريم .. الخ .

فالدرجة الأولى فى المعرفة هى معرفة الأسماء والأفعال .. والعلم بالصفات،

فإذا ما قربَّك الملك.. وعلم فقرك فأعطاك حتى أغناك.. فأبدلت ثيابك بالجديد.. وأطبت مطعمك ومشربك.. وارتقيت بمركبك وبيتك.. فحينئذ نقول إنك قد نلت من بعض آثار صفات الملك ما تبدل به حالك وتغيرت معيشتك وذلك من أثر نعمته عليك وأثر غناه وكرمه عليك..

حينئذ تكون قد انتقلت إلى المرتبة الثانية وهي تذوق الصفات.. فذقت من كرمه .. ومن غناه.

فإذا زاد إكرام الملك عليك فأعطاك ثم أعطاك .. وبدأت أنت نفسك تصبح غنيا وبدأت تبحث عن الفقير لتعطيه .. والمحتاج فتغنيه.، فقد تغيرت صفاتك وصار فيها قبس من صفات الملك وسرت فيك آثار صفاته وصرت مثله كريما .. غنيا .. مع بعد المفارقة بين غناك .. وغنى الملك وعطاياك .. وعطايا الملك .. ولكنك على أى حال تغيرت صفاتك الى صفاته .. وسرت فيك صفاته الى من حولك من الخلق..

عندئذ تكون قد وصلت الى مرتبة التجليات .. تُفاض عليك وتفيض أنت على غيرك..

فإن ازداد عطاء الملك .. وغناك منه .. فصرت لا تعطى من مالك فقط بل تدعو كل غنى بأن يعطى الفقراء .. فلا يسمع كلامك بخيل إلا تبدلت حاله بكلامك وصار كريما مثلك ومثل الملك، إذا فقد سرت فيك سر قوة الغنى والمنح من الملك إليك ومنك الى الناس فذلك فيض من الملك إليك ومنك الى الناس .. فعندها تقول إنك فى المرتبة الرابعة ... وهى سريان سر التجليات فيك .

فالأولى أنك عرفت الأسماء والأفعال .، والثانية أنك قد تذوقت الصفات، والثالثة أنك قد سرت فيك عرفت التجليات .، والرابعة أنك دخلت فى أسرار التجليات.

ورغم أنك اتصفت بصفات الملك فما أبعد المشابهة والمماثلة بينك وبينه .. ففرق بين من يعلم .. وبين من يتذوق .. ومن يقرأ ويسمع.. ومن يخشع ويتبدل .

وكلنا نعلم أن اللّه تعالى قد خلق سيدنا آدم ليكون خليفة فى

**الأرض.. لا فى الجنة فلماذا أسكنه الجنة !!! .** ﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾**(البقرة -٣٥).**

**نقول وباللّه التوفيق إن الخلافة تستدعى العلم الكامل للخليفة والإدراك المعتدل كما قلنا سابقا ..، حيث إن الخلافة الحقة لا تكون إلا إذا كان الإنسان فى أحسن تقويم .. علما وإرادة فلما خلق اللّه تعالى آدم وعلَّمه أسماء الموجودات والكائنات وخواصها وأسرارها واستخدامها صار له نصيب من العلم ..، فلما أسكنه الجنة ورأى ملك اللّه العظيم وقدرته وحكمته وعظمته .. وجلاله .. وتدبيره وجماله، ازداد علمه باللّه تعالى بأنه الخالق .. البارئ المصور العظيم .. الجليل.. الرازق.. إلى آخر صفات الخلق والإيجاد والعظمة والجلال.**

**عرف هذا من رؤيته لآثار صفات اللّه تعالى وأفعاله فى الجنة ..، ولكنه لم يعرف الجانب الآخر من صفات الرحمة والتوبة والمغفرة،**

**فلما ذاق الشجرة .. واستغفر ربه وتلقى من ربه كلمات فتاب عليه استكمل معرفته بصفات اللّه تعالى وعرف قهره وجبروته ورحمته.. وغفرانه..،**

**فلما تمت له المعرفة باللّه استحق الخلافة فأنزل على الأرض..**

**وإلا فكيف تتصور أن يكون الخليفة فى الأرض وهو لا يعلم صفات مليكه وخالقه . فالخلافة لا يستحقها إلا العالم الخبير باللّه تعالى الذى علم وعرف وذاق أسماءه وصفاته جل وعلا .**

**واعلم أنه كما أن للّه تعالى آثاراً ظاهرة لصفاته وتجلياته فى أكوانه. فإن له تعالى آثاراً غير ظاهرة إلا لمن هو أهلها من التدبير واللطف والقيومية...**

**وانظر فى قصتين من قصص القرآن الكريم جاءتا ذكرى لمن يعتبر.**

الأولى عن سيدنا يوسف عليه وعلى نبينا أفضل صلاة وسلام.

والثانية عن سيدنا موسى والعبد الصالح كما وردتا فى سورتى يوسف والكهف فى القرآن.

فقد ألقى سيدنا يوسف فى الجب .. وانتزع من أبيه عليه السلام.. واسترِقّ عند عزيز مصر .. وأدخل السجن، فأى بلاء يتلوه بلاء يتلوه بلاء مثل هذا !!! ولكنك ترى فى النهاية أن كل ما حدث كان بتدبير اللَّه تعالى وحكمته وكل واقعة أسلمته للأخرى حتى صار فى النهاية هو عزيز مصر وحاكمها، ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا...

فلو انقطعت سلسلة هذه الأحداث .. أو نقصت منها حلقة لما صار إلى ما صار إليه، ولذلك يقول سيدنا يوسف:﴿ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (يوسف-١٠٠)، فعلم اللَّه تعالى وحكمته ولطف تدبيره جل شأنه لم يظهر لسيدنا يوسف إلا فى نهاية الأمر ..، وإلا فهل كان يعلم وهو يباع رقيقا .. ويدخل السجن أنه سوف يصير عزيز مصر !!! اللَّه وحده هو الذى كان يعلم وهو العليم الحكيم واللَّه وحده هو الذى دبّر وأنفذ مشيئته والناس لا يعلمون ...

أما قصة العبد الصالح مع سيدنا موسى والتى وردت فى سورة الكهف فقد جازى أصحاب السفينة على إكرامهم له ولسيدنا موسى بإركابهما دون أجر بأن خرقها لهم !!! فأصبحت تحتاج الى ترميم.. وصلاحيتها صارت محل نظر .. فهل جزاء إحسان أصحاب السفينة هو أن يتلف لهم سفينتهم !؟! . أم أن جزاء الإحسان هو الإحسان!!!،

ثم قتل العبد الصالح غلاما جميلا زكيا، لا يبدو منه شر ولا أذى.. أزهق روحه .. مع ما سببه لوالديه من حزن وغم وألم لموت الطفل البرئ .. فهل يبدو فى قتل النفس الزكية البريئة أى رحمة !!؟، وهل

هناك أبشع ولا أشد جزاء عند اللَّه تعالى من قتل النفس البريئة .،

ثم يزيد العبد الصالح سيدنا موسى عجبا واستغرابا حين يدخلون قرية فيرفض أهلها إكرامهما بطعام أو شراب وهما من بسائط واجبات المروءة والشهامة .. وإذا بالعبد الصالح يرى جدارا يوشك أن ينهدم فيشمر عن ساعديه ويرممه ويصلحه ليبقيه على حاله .. فهل يستحق أهل المدينة هذا العناء والتعب!!! .

فلما بلغ العجب أقصاه بسيدنا موسى .. فسر له العبد الصالح ما خفى عليه من أسرار، وأظهر له حكمة اللَّه تعالى فيما فعله، فعله بالأمر وليس على هواه بما أعلمه اللَّه تعالى من بواطن الأمور وأسرار جريان القدر والقضاء على عبيده.

فلولا أنه قد خرق السفينة لكانت قد أخذت من أهلها غصباً منهم وظلما .. فهذا الخرق الظاهر المضر فى نظر سيدنا موسى كان هو عين المصلحة لأصحاب السفينة حيث حال بينها وبين الاغتصاب والسلب منهم،

أما الغلام فقد كان مقدرا له أن يكون كافرا إذا شبٌ وكبر عاقاً لوالديه مع كبر سِنِّهما وضعف شيخوختهما .. فأراحهما اللَّه من كفره وعقوقه بموته مع فضل من اللَّه أن يبدلهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما لهم وهما لا يعلمان .. ورحم اللَّه الغلام بموته طفلا لم يبلغ الحلم فلا يحاسب على كفر لذلك فقد كان مقتل هذا الطفل رحمة للجميع .. له ولوالديه،

أما الجدار فقد حفظ العبد الصالح بترميمه ثروة كانت تحته ليتيمين فى المدينة، فلو انقض الجدار وظهرت الثروة لاستولى عليها أهل المدينة اللؤماء وحرموا اليتيمين .. لذلك فقد كان عين العدل أن يرمم الجدار لا شكرا لأهل المدينة ولكن حفاظا على كنز اليتيمين..

واليتيمان لا يشعران وأهل المدينة لا يشعرون.

فانظر كيف كان اعتراض سيدنا موسى على ظاهر الأمور.. لأنه لم يدرك حكمتها، ولكن العبد الصالح المكلف من اللَّه تعالى بهذه الأمور قد أعلمه اللَّه تعالى بسرها وحكمتها.

ولا تحسبن العبد الصالح أعلى درجة من سيدنا موسى نبى اللَّه ورسوله وكليمه ولكن لكل منهما علم يناسب مهمته .. فسيدنا موسى فى شأن مع اللَّه ومع خلق اللَّه غير شأن هذا العبد الصالح مع اللَّه ومع خلقه.. وكل "ميسر" لما خلق له.

يروى أبو داوود والنسائي والحاكم قوله صلّى اللَّه عليه وسلم "رحمة اللَّه علينا وعلى موسى، لو صبر لرأي من صاحبه العَجَبَ" وفي رواية "العَجَب والعُجَابَ"

ومقصودنا من عرض القصتين هو أن نريك كيف أن للَّه تعالى حكمة عليا فى كل ما يقع للعباد .، و البلاء.. أو المصائب بتعبيرنا نحن التى تعرض لها سيدنا يوسف عليه السلام.. ومن تعرضوا لها مع العبد الصالح لم تكن إلا رحمة اللَّه تعالى بعباده ومعرفته جل وعلا بما يصلحهم .. فكلها خير لهم .. وهم يتصورون أنها بلاء أو مصائب.

لذلك يقول اللَّه تعالى فى سورة التغابن:﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾، أى من يصدق إيمانه ومعرفته باللَّه تعالى فاللَّه جَل شَأنه يطمئن قلبه ويجعله مطمئنا باللَّه شاكرا له غير جزوع ولا هلوع، فهو دائما مطمئن باللَّه تعالى .. مدرك للطف تدبيره وخفى حكمته ..

ولعل هذا يسوقنا الى قول اللَّه تعالىفى سورة النساء:﴿ أَيۡنَمَا

تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗاۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٧٩﴾ ﴾

**ويقول تعالى فى سورة الشورى:** ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ﴾

**فهل المصيبة من النفس .. أم هى من اللّه تعالى !!!.**

**اعلم رحمك اللّه أن كتاب اللّه تعالى هو خطاب لكل المؤمنين على اختلاف درجات إيمانهم قوة وضعفا .. فمنهم قليل الإيمان الذى يقيس النتائج بالمسببات .. ومنهم عظيم الإيمان صاحب التسليم المطلق للّه تعالى .، فالإنسان إذا أصابته مصيبة فاعتبرها مصيبة . واحتسبها فى سبيل اللّه .. وصبر عليها .. فهى مصيبة ويؤجر على صبره وإنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب فالصبر لا يكون إلا على قدر إحساس العبد بالبلاء والمصائب.**

**هذه حالة أما إذا نظر إليها .. وعقلها فى قلبه ونفسه وأدرك أن اللّه تعالى لا يأتى منه إلا الخير ... إلا ما هو لصالح الإنسان فى دنياه وآخرته معاً .. وأيقن يقينا جازما أن ما أصابه هو الخير .. وأن الملك للّه .. والأمر للّه يصرفه كيف يشاء .. وهو شاكر فضله فهذا المؤمن لا يرى المصيبة أصلا .. بل يراها خيرا .. وبدلا من أن يصبر عليها فإنه يشكر اللّه تعالى على هذا الخير، وفرق بين الصابر والشاكر... يقول تعالى:** ﴿ .... وَقَلِيلٞ

مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ (سبأ-١٣).

ويقول فى الحديث القدسى كما يرويه الطبراني والحاكم "أنا عند ظن عبدى بى".

فَالمصيبة إنما صارت مصيبة بتقويم النفس لها .. وتقديرها لما وقع.. فتكون فى هذه الحالة من النفس،

والدليل على قولنا هذا أن رسول اللَّه ﷺ مر برجل قد أصابته مصيبة وهو ينتحب ويبكى فقال له ﷺ إن تصبر فهى خير لك.. فرد الرجل على رسول اللَّه ﷺ.. أى خير وهى مصيبة فقال له ﷺ: هى إذا!!. أى هى إذن مصيبة كما قدرتها أنت..

وانظر إلى قول اللَّه تعالى فى سورة آل عمران :﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾

فأى مصيبة أكبر من أن يجتمع الناس لقتالهم وهم فئة قليلة لا حول لهم ولا قوة .. وهم هالكون لا محالة ولكن انظر إلى قوة إيمانهم باللَّه تعالى وصدق يقينهم .. فمن الوهلة الأولى لم يهتزوا ولم يجزعوا بل زادهم إيمانا وثقة باللَّه نابعة من قوة إيمانهم وقالوا اللَّه حسبنا ووكيلنا.. وأى وكيل أعظم وأقوى منه جل شأنه، فكانت النتيجة أن اللَّه تعالى أثابهم بنعمة ... وفضل لم يمسسهم سوء واللَّه ذو الفضل العظيم...

فهكذا يكون استقبال شديد الإيمان للمصائب وتقديره لها..

وهناك تفسير آخر نورده مجملا، ذلك أن النفس بجهلها قد تطلب

ما يطغيها .. أو تفعل ما يؤذيها وهى غافلة عن نتائج ما تفعله أو تطلبه.. فقد تطلب النفس البنين والمال .. فإذا كان لها ما أرادت كانوا فتنة لها ومصيبة. فإن النفس لا تطلب أمرا من شهوات الدنيا إلا كان عليها نكبة وانشغالا عن اللّه وزيادة معاناة وكبد لها،

ويقول ﷺ فيما يرويه أحمد والنسائي وغيرهما عن ثوبان رضي اللّه عنه " إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه " فإنما كان حرمانه نتيجة عصيانه .. وكانت مصيبة نتيجة لطلب نفسه البنين والمال..

واعلم أن هناك تفسيراً ثالثاً ولكن يصعب عرضه بالبيان واللسان لأنه من باطن النفوس وافتتانها ببعضها البعض وقد قيل "اتقوا غيظ القلوب ولو من دابة " .

ومقصودنا من كل ما تقدم هو أن نقول إن الإيمان بأسماء اللّه تعالى وبصفاته يستلزم الرضا بالقضاء وحسن الإدراك بحكمة اللّه . ما بين صبر وشكر حيثما يرزقه اللّه تعالى فَهْماً، كما يقول صلى اللّه عليه وسلم فيما يرويه الترمذي عن فضالة بن عبيد " لو تعلمون مالكم عند اللّه لأحببتم ان تزدادوا فاقة و حاجة" حديث صحيح. فإذا كانت الفاقة والاحتياج يعتبره الناس من البلاء فقس علي هذا كل بلاء آخر لأن المؤمن مثاب علي كل بلاء او بمعنى أدقّ على كل هم وغم يصيبه ومحاسب على كل نعمة من نعم الدنيا تأتيه فافهم رحمك اللّه.

وما نهدف إليه هو أن نوضح لك بأن معرفة أسماء اللّه تعالى وصفاته ... تستلزم أن تنظر إلى كل ما يجرى فى الكون على أنه من تدبير اللّه تعالى . بل إن العباد أنفسهم يجرى عليهم حكم القضاء والقدر.. وأفعالهم كلها إنما هى منسوبة إليهم نسبة إضافة كما ذكرنا من قبل.. فالرزاق هو اللّه تعالى ولكن قد يضع سر الشفاء فى دواء، فالأسباب لها دور ونشكر من أجرى النعمة لنا على يديه يقول تعالى

(لقمان-١٤):﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾، فاللّه تعالى هو الفعال لما يريد حسبما يريد وكيفما يريد .. ولكنه جل شأنه جعل جنودا، وأسباباً للخير .. وجعل جنودا وأسباباً للشر فافهم ...

وحقيقة الأمر .. واللّه ورسوله أعلم . هو أنك والخلق أجمعين .. وفى كل حالة من حالاتك .. فى نومك ويقظتك .. فى غناك وفقرك.. فى بكائك وضحكك .. فى صحتك ومرضك تحت تجليات اللّه عليك وتحت تجليات اللّه على الموجودات التى تتعامل معها فتتصرف معك بتجليات اللّه عليها، فأنت بين تجليات اللّه عليك وتجليات اللّه إليك.. وسبحان اللّه الذى لا يحيطون بشئ من علمه إلا بما شاء..

ولذلك يعلم رسول اللّه ﷺ أصحابه أصول التوحيد للّه تعالى فيقول لسيدنا معاذ رضى اللّه عنه "احفظ اللّه يحفظك .. احفظ اللّه تجده تجاهك .. إذا سالت فاسأل اللّه .. وإذا استعنت فاستعن باللّه.. واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك.. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه اللّه لك .. وأن الأمّة لو اجتمعت كى يضروك بشئ ما ضروك إلا بشئ قد كتبه اللّه عليك... رفعت الأقلام ... وجفت الصحف "

وصدق رسول اللّه ﷺ... فإن الأمر كله للّه .. وباللّه .. وإلى اللّه ولن يصيبنا إلا ما كتب اللّه لنا.. وصدق اللّه إذ يقول فى سورة آل عمران :﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

## • التعلق .. والتخلق بصفات اللَّه تعالى :

**ذكر الإمام الغزالى فى كتابه المقصد الأسنى قوله ... ﷺ" تخلّقوا بأخلاق اللَّه تعالى " وروى الطبرانى فى الأوسط قوله عليه الصلاة والسلام " إن للَّه تسعة وتسعين خُلُقاً من تَخلق بواحد منها دخل الجنة ".**

**وقد سبق القول بأن الإنسان فى الأرض يكون بين درجتى أحسن تقويم وأسفل سافلين ..، وأن التفاضل بينهما والتدرج ليس إلا بقدر ما اكتسب من الصفات العلوية وبقدر ما تخلص من شهواته الحيوانية، فأحسن تقويم هو الاتصاف بصفات اللَّه تعالى المأمور بها .. وعلمه الكامل بخصائص هذه الصفات .. وتذوقه من تجلياتها وأنوارها، أما أسفل سافلين فهو غفلته عن هذه الأسماء والصفات وبعده عن تجلياتها.. وهذا البعد يثمر المفارقة والمباينة بخلاف قربه منها فإنه يثمر المماثلة، ونؤكد مرة أخرى أن المقصود المماثلة على قدر الطاقة البشرية وليست المثلية وفرق بين المماثلة والمثلية والمَثل والمِثْل والمثال.**

**والبعد هو بالحجب عن اللَّه، والقرب إنما يكون بشفافية هذه الحجب البشرية والكونية .. وهذا لا يكون إلا بمجاهدة النفس والترقى بها من عالم الشهوات إلى عالم الملكوت وصقلها وتهذيبها بالطاعة وذكر اللَّه ثم بفضل فيوضاته جل وعلا أولا وأخيرا..**

**وصفات التخلق باللَّه تعالى هى صفات الرحمة والكرم والرافة والعفو وما ماثلها فاللَّه تعالى كريم ويحب الكريم .. ورحيم ويحب الرحيم.. وعفّو ويحب العافين عن الناس يقول اللَّه تعالى:**

﴿..وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

**(آل عمران-١٣٤) ، ويقول ﷺ "الراحمون يرحمهم الرحمن" ويقولَ فيما يرويه الترمذى عن أبى هريرة أن السخىّ قريب من اللَّه قريب من**

الناس قريب من الجنة ويروى الطبرانى فى الأوسط قوله ﷺ."إن للّه ثلاثمائة خُلُق من تقّرب إليه بواحد منها دخل الجنة، وأحبها إليه السخاء"، وفى رواية "تقّرب إليه بواحد منها دخل الجنة، وأحبها إليه السخاء"، وفي رواية ثلاثمائة وبضع عشر وروي البيهقي والترمذي عن عثمان بن عفان قوله صلى اللّه عليه وسلم "إن للّه تعالى مائة خُلق وسبعة عشر خُلُقاً . من أتاه بِخُلُقٍ منهما دخل الجنة" حديث حسن، ويقول صلّى اللّه عليه وسلم " بينما رجل يمشى فى الطريق إذ اشتد به العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب فخرج منها .. فوجد كلبا يكاد يأكل الثرى من العطش.. فقال لقد بلغ العطش بهذا الكلب مثلما بلغ بى ..فأتى البئر فنزل فيها فملأ خفه وأمسكه بفيه ورقى فسقى الكلب فشكر اللّه له فغفر له فدخل الجنة " قالوا يارسول اللّه " أئن لنا فى البهائم لأجرا!!. قال فى كل ذات كبد رطبة أجر".

فهذا الرجل قد لامست الرحمة قلبه .. فصار رحيما .. وظهر أثر رحمته على القلب وهى من خُلُقِ اللّه تعالى .. فدخل الجنة لأنه اتصف بصفة من صفات اللّه ذلك أن المجانسة تستدعى المجالسة .. والمجالسة تستدعى المؤانسة .. فافهم هذه الإشارة ..

وأنت لا تفهم صفة من صفات اللّه تعالى إلا إذا أجراها ذوقا على قلبك وإحساساً فى نفسك وليست شرحا بألفاظ وكلام ..

أما صفات التعلق وهى الصفات التى هى مطلوب منك أن تحبها وتقدسها للّه تعالى وأن تتصف بضدها وليس بها، فهى صفات العظمة والكبرياء .. والجلال ... فاللّه تعالى هو المتكبر .. ولا يحب الكبرياء فى عباده.. وهو القاهر ولا يحب من عباده من يقهر خلقه بجبروته.

فإذا اتصف العبد ببعض صفات الجلال والجبروت فإن هذا يكون حجابا بينه وبين اللّه تعالى. ويضله ويعميه. ويقول تعالى عن فرعون فى

سورة النازعات : ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ ﴾، ويقول تعالى فى الحديث القدسى : "الكبرياء ردائى، والعظمة إزارى، فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار "

والله سبحانه وتعالى قد جعل لك سبيلا إلى معرفة صفاته والاتصاف بها .. وذلك بذكر الله تعالى بأسمائه والاجتهاد فى تدبر معناها، فإن ظل لسانك رطباً يذكر الله تعالى وباسم من أسمائه فإن معانى هذا الاسم تلامس قلبك وروحك مع كثرة ترديده وتكراره .. وتنير تجلياته بصيرتك لانفعال قلبتك بالمعنى، لذلك يقول تعالى فى سورة الإنسان : ﴿ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴿٢٥﴾ ﴾ ويقول فى سورة الأحزاب-٣٥: ﴿ ... وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ ... ﴾، فكثرة الذكر لها أثر فعال على القلب وكشف حجبه، ذلك أن انشغال القلب مع اللسان بذكر الله وأسمائه وصفاته يقطع عن القلب شواغل الدنيا وشهواتها .. ويتجه القلب إلى الله تعالى خالصا مخلصا، ومن استغرق قلبه فى ذكر الله بالكُلية ولم تشغله الأغيار ولا الأنوار عن الله تعالى شاهد وشهد مالا يقال فى بيان ..

واعلم أن النفوس متباينة متغايرة فى صِفَاتها وقَابليتها . فما يصلح لنفس قد لا يصلح لأخرى .. بل إن ما ينفع نفساً قد يضر أخرى ..

لذلك تجد من النفوس ما يكون تهذيبها وصقلها وسعادتها بصفة خاصة لها من صفات الله تعالى، فنفس تصقل وتهذب بالكرم والجود، ونفس صقلها وتهذيبها فى العدل والحق، وأخرى سعادتها فى التعليم والأخذ بيد البسطاء .. وهذا ما قصدناه حين قلنا إنه يجب على كل إنسان أن يعرف ما يناسبه من أعمال الخير وما يستريح إليه أكثر من غيره.

نعم النفس المؤمنة تقبل كل الصفات الطيبة وتقوم بكل الطاعات، ولكنك ترى صنعة خاصة أو عملا خاصا تتجلى فيه قدرات النفس وتجد فيه مفتاح بصيرتها وسر سعادتها .. يقول صلى اللَّه عليه وسلم : "اعملوا وكل ميسر لما خلق لَهُ " ويقول تعالى (الإسراء-٨٤) : ﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ ... ﴾

لذلك فقد يكون لتسبيح اللَّه تعالى وذكره باسم معين تأثير خاص على نفس معينة .. وقد يقل أو يزيد هذا الأثر على نفس أخرى.. وفى كلٍ خير بلا شك ولكن هذه غير تلك ...، ألا ترى إلى تفاوت الأنفس فى الدنيا حتى فى الصفات الدنيوية .. فنفس تحب الهدوء وأخرى تحب الحركة والضوضاء .. ونفس ميالة على الصمت والعزلة.. وأخرى إلى الاختلاط بالخلق والكلام.. فكذلك تجد باطن النفوس متباينا فى الاستعداد.

ويقال بأن لكل صفة من صفات اللَّه تجليات خاصة .. وإن هذه التجليات لابد أن يكون لها قوة .. وجنود .. حيث أنها تؤثر فى القلوب وفى العباد.. وهذه الأجناد مختلفة الصفات .. ألا ترى أن ملائكة العذاب لهم صفات غير ملائكة النعيم !!. فالذاكر باسم معين أو بصفة معينة يتأثر بطريقة ما بهؤلاء الجنود .. واللَّه أعلم.

واعلم أن نهاية المخلوقات كلها هو توحيد اللَّه تعالى والإيمان به..

فالكافر الذى لم يؤمن فى الدنيا باللَّه تعالى سوف يؤمن فى الآخرة يوم البعث والنشور بلا ريب، والسعيد من عرف ربه فى الدنيا .. وذكره وسبحه وأثنى عليه بما هو أهله .. وأنار اللَّه بصره وبصيرته فى الدنيا والآخرة .. فإن المؤمن له الأمن والأمان فى الدنيا والآخرة وله نور فى الدنيا يهديه ويهدى به غيره .. وله نور فى الآخرة يسعى به إلى

الجنة .. واللَّه تعالى وليه فى الدنيا والآخرة .. وتستغفر له الملائكة .. فلا يحزنه الفزع الأكبر ولا سؤال الملكين فى القبر.. وباختصار فإن المؤمن له ما يشاء عند ربه.

وانظر إلى من أحب اللَّه تعالى وأحبه اللَّه حيث يقول سيدنا رسول اللّه ﷺ إيذانا لسيدنا بلال بن رباح بإقامة الصلاة " أرحنا بها يا بلال " أرحنا بالصلاة .. افتح لنا باب المناجاة مع من نحب .. لنسجد ونقترب .. من المحبوب .. لنشكره ونسبحه بما هو أهله ..، لذلك يقول صلى اللَّه عليه وسلم "وجُعلت قرة عينى فى الصلاة " وكيف لا وهى باب المناجاة مع المحبوب، وانظر إلى قوله صلى اللَّه عليه وسلم "من أحب لقاء اللَّه أحب اللَّه لقاءه" .. فإنما ذلكم هو المشتاق إلى لقاء اللَّه والنظر إلى وجهه الكريم فتلك هى صفات المؤمن باللَّه تعالى...

اعلم أن للَّه تعالى أسماء أخرى غير الأسماء الحسنى وقد قيل إن أسماءه . تعالى تربو على أربعة آلاف اسم .. واللَّه أعلم .. أما الأسماء الحسنى التي وردت في حديث أبى هريرة رضى اللَّه عنه ورواه الترمذي وابن حبّان والحاكم والبيهقى، فهى:

**هو اللَّهُ الذى لا إلهَ إلا هُو الرحمنُ * الرَّحِيمُ * المَلِكُ * القُدُّوسُ * السلامُ * المُؤمِنُ * المُهَيمنُ * العَزِيز * الجَبَّار * المُتَكَبِّرُ * الخَالِقُ * البَارِىءُ * المُصَوِّرُ * الغَفَّارُ * القَهَّارُ * الوَهَّابُ * الرَزَّاقُ * الفَتَّاحُ * العَلِيمُ * القَابِضُ * البَاسِطُ * الخافضُ * الرَّافِعُ * المُعِزُّ * المُذِلُّ * السَمِيعُ * البصيرُ * الحَكَمُ * العَدْلُ * اللَّطِيفُ * الخَبِيرُ * الحَلِيمُ * العَظِيمُ * العَلِّىُ * الكَبِيرُ * الغَفُورُ * الشَّكُورُ * الحَفِيظُ * المُقِيتُ * الحَسِيبُ * الجَلِيلُ * الكَرِيمُ * الرقِيبُ * المجِيبُ * الوَاسِعُ * الحَكِيمُ * الوَدُودُ ***

المَجِـــيدُ * البَاعِــثُ * الشهِـيدُ * الحـقُّ * الوَكِـيلُ * القَـوِىُّ * المــتينُ * الـولىُّ * الحميـدُ * المُحصـى * المُبـدىءُ * المُعيـدُ * المُحيـى * المُمِيـتُ * الحـىُّ * القيُّـومُ * الواجـدُ * الماجـدُ * الواحدُ * الأحدُ * الصمَدُ * القادرُ * المُقتَدِرُ * المُقَدِّمُ * المُـؤخِّرُ * الأَولُ * الآخِـرُ * الظـاهِرُ * البـاطنُ * الـوال * المُتَعـال * البـرُّ * التـوَّابُ * المُنـتَقِمُ * العفـوُّ * الـرؤفُ * مالـكُ الملـكِ * ذوالجلالِ والإكـرام * المُقسِـطُ * الجـامِعُ * الغـنِىُّ * المُغـنى * المـانعُ * الضـارُّ * النَّـافِعُ * الـنُّـورُ * الهـادِى * البديـعُ * الـباقِى * الوارِثُ * الرشـيدُ * الصبورُ ....

واعلم أن ليس فى هذه الأسماء مترادفات ..فلا يوجد اسمان بنفس المعنى، ولكن توجد فروق دقيقة لا يدركها إلا أهل الخصوص ..

فالرحيم غير الرحمن.. فالرحيم كثير الرحمة .. أما الرحمن فعام الرحمة خفيها وظاهرها، والفرق واضح ..

والغفور كثير مغفرة الذنوب وإن تكررتً من العبد نفس الذنوب . أما الغفار فهو كثير مغفرة الذنوب على تنوعها وتكرارها سواء كانت هى نفس الذنوب أو غيرها وهكذا.

* * *

# موجز الباب الرابع

**فإذا أردنا تلخيص ما سبق عرضه فى هذا الباب نقول :**

**•الإيمان الحق هو صدق العبودية للَّه تعالى والتسليم له مع صدق العمل لنيل رضاه.**

**•النفس كالمرآة إن لم تصقلها وتوجهها إلى اللَّه تعالى فلن تعرف حقيقة الإيمان.**

**•الحجب النفسية الشهوانية هى الحجاب بين العبد وربه لبعد المماثلة.**

**•أسماء اللَّه تعالى هى الدالة على صفاته .. والصفات لها تجليات والتجليات لها أنوار وأسرار والعبد دائما بين تجليات اللَّه عليه و تجليات اللَّه إليه من حوله.**

**•النفس هى التى تصور القضاء مصيبة أو غيرها.**

**•صفات اللَّه تعالى منها قسم للتخلق ومنها قسم للتعلق.**

**•لكل نفس ما يناسبها من الأسماء والصفات.**

* * *

اللَّهم إنك لا تُخلى أكوانك من ذكر لك حق .. وآية لك بينة.. سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك .. سبحانك مهما سبحك المسبحون .. وذكرك الذاكرون .. فما سبحوك حق تسبيحك ولا ذكروك حق ذكرك .. ولكن بتفضلك جعلت قلوب عبادك خزائن فضلك وودائع فيوضاتك .. اللَّهم فزدنا بك علما وإليك اهتداء.. وفيك فناء .. وبك بقاء .. وهب مسيئنا لمحسننا .. وهبنا جميعا لوجهك الكريم وصل اللَّهم على مولانا وسيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

* * *